الترجمة بين شمولية الميتافيزيقا ولانهائية التأويل

عمر كوش

ميتافيزيقا الترجمة

تنظر الميتافيزيقا إلى الترجمة على أنها عملية يراد بها تجاوزُ تفرُّق الألسن وتعددها، بغية الوصول إلى اللغة الحقّ الماثلة في الأعماق البعيدة لكلّ لسان. وهي عملية تقتضي نقلَ المحتوى الدلاليّ للنصّ من لغة الأصل إلى لغة النقل، حيث يتغير شكلُ الدلالة، وينتقل معه المعنى بوصفه عاملاً سابقاً على الكتابة واللغة. هذه القَبْلية الميتافيزيقية تمتدُّ عميقاً في الفكر الفلسفيّ، وتفترض إمكانية بلوغ المعنى الحقيقيّ للنص. ولذلك تُلقي على الترجمة مهمةَ نقلِ هذا المعنى الأصلي للنصّ بدقة كي تصبح نسخةً أمينةً للنص شبيهةً به... فيفقد المترجِمُ معها جميعَ مكوِّناته الثقافية، ويفقد لغته الخاصة، وتنمحي هويته.

الميتافيزيقي/الديني

تُضفي الميتافيزيقا على النصِّ «الأصلِ» قداسةً أشبه بالقداسة التي تُوسَمُ بها النصوصُ الدينية. ومردّ ذلك تصورٌ سائدٌ يُرجِع الترجمةَ إلى أصلٍ دينيّ، يتجلى في «قصة برج بابل» التي وردتْ في التوراة، وتفيد بأنّ أولاد سام بن نوح حلّوا بعد الطوفان في أرض ما بين النهرَيْن، وشيَّدوا في بابل برجاً رأسُه إلى السماء، فعاقبهم الربُّ على فعلتهم بأنْ أحبط ما صنعوه، وفرّق شملهم وبَلْبَلَ لسانَهم، كي لا يفهم بعضُهم لغةَ بعض[1]. ومن ثَمَّ غدتْ هذه القصة تفيد اختلاط اللسان في التراث الدينيّ اليهوديّ والمسيحيّ[2]. وعليه فإنّ الفعل «بَلْبل» الذي اشتُقّ من اسم «بابل»، يعني الاختلاط أو الوقوعَ في الاضطراب.

كذلك فإنّ ترجمة الإنجيل لعبتْ دوراً هاماً في التصور الدينيّ للترجمة. ذلك لأنّ الإنجيل معروف بالنصوص الأربعة التي كُتبتْ باليونانية، مع العلم أنّ اللغة الآرامية هي اللغة التي يُفترض أن تكون لغةَ الإنجيل. فقد ترجم أهلُ اليونان الإنجيلَ إلى لغتهم بعد مضيّ حوالي قرن على نزوله، ثم حلّت ترجماتُهم له محلَّ الأصل الآراميّ، وغدت أصولاً تُحتذى في الترجمة، فنُقلتْ مترجَمَةً على مرِّ العصور من اليونانية إلى مختلف اللغات من منطلق التبشير الدينيّ. ففي الثامن من نيسان عام ١٥٠٦ بعث الكاهن جاك انتيكاريو رسالةً إلى الراهب پاولو غويستينياني الذي ترجم كتابَ المزامير إلى أربع لغات، قال فيها: «...كيف استطعتَ، وبأية وسيلة تمكنتَ، رغم اشغالك الكثيرة، من أن تتقن اليونانية والعبرانية والكلدانية والعربية؟.. حتى لجعلت هذه اللغات أداة جديدة... فقد كان عندنا الإنجيلُ باللاتينية، أما الآن وقد جمعتَ لغات الشعوب نفسها، فقد صار الإنجيلُ في منال كل مخلوق وفقاً لمشيئة الخالق»[3].

إذاً، كان لتداخل الدينيّ مع الميتافيزيقيّ تأثيرٌ هامّ في عملية الترجمة، ولذلك ترى الميتافيزيقا في بعض ترجمات النصوص الدينية نماذجَ تُحتذى للترجمة وتصفها بالحقيقيّة. وهذا ما أدى إلى إسناد دور دينيّ إلى الترجمة في التاريخ، كما يذهب إلى ذلك بعضُ منظّري هذا الاتجاه في الترجمة أمثال المترجم الفرنسي «أنطوان برمان»، ويبارك هؤلاء الإرادةَ الإلهية التي قَضَتْ بتعدد اللغات، ويَنْظرون إلى الترجمة بوصفها ممارسةً تتكشف في ميدانها مملكةُ المعنى الأصليّ والحقيقةُ الثاوية في الألسنة المختلفة. ويَرْجع إسنادُ دور دينيّ إلى الترجمة إلى معتقدات دينية: «منها 'معتقدُ البدء' الذي يجعل من الكلام الأصلَ في الوجود؛ و'معتقدُ الكلمة الروحية'، وهو يجعل اللفظةَ المفردةَ أشرفَ من مرتبة الجملة المركبة؛ و'معتقدُ نزول المخلِّص'، وهو معتقد يجعل الانسجامَ يعمّ بين الألسن كما يعمّ بين موجودات العوالم بعد أن يتواصل نموُّ هذه الألسن إلى حين ظهور المخلِّص»[4].

---

١ ـ انظر: **الكتاب المقدس، العهد القديم**، الجزء الأول، مطبعة المرسلين، بيروت، ١٩٢٥، ص ١٨ ـ ١٩.

٢ ـ انظر: طه عبد الرحمن: **فقه الفلسفة**، الجزء الأول، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٥، ص ٦٢.

٣ ـ مسعود ضاهر: «الاتجاهات الأساسية لحركة الترجمة في لبنان والوطن العربي»، مجلة **الوحدة**، العدد ٦٢/٦١، ص ٤٥.

٤ ـ طه عبد الرحمن، مصدر مذكور، ص ٦٩.

إنّ مثل هذه التصورات التي نظّر لها فالتر بنيامين تقوم على اعتبار النص المقدّس نموذجاً أعلى يُحتذى في الترجمة، وتتجلى فيه اللغةُ الخالصة. وتغدو الترجمةُ وفق نظريته صورةً تستمد خصائصَها من الأصل، أيْ بوصفها جزءاً من ماهيته، لكون هذا الأصل يحمل في ذاته قابليةَ ترجمته، الأمر الذي يُكسبه قدرةً على البقاء من خلال تعدد ترجماته وتناميها. هكذا يسعى هذا التصور الميتافيزيقيّ للغة الخالصة إلى التقارب بين الألسن وإن كان يقرُّ بتعددها، ويرى في اللغة الخالصة السبيلَ إلى تقارب الألسن وتكاملها، بوصفها الوجودَ اللغويَّ متجسّداً في الكلمة الأصلِ بناءً على القول الدينيّ: «في البدء كان الكلمة».

شمولية الميتافيزيقا وخصوصية الترجمة

تحاول الأنظمةُ الميتافيزيقية «تجاوُزَ حدود المعرفة البشرية الشرطية والناقصة للوصول إلى شيء كامل ناجزٍ بصورة مطلقة»[1]، معتمدةً على لغةٍ شموليةٍ تستند إلى المنطق بمختلف أشكاله وتفرعاته. لذلك لا تريد أن تشكل الترجمة ـ بالتصاقها بلغات خاصة ـ عائقاً يمنعها من الوصول إلى مبتغاها في التقاطِ أشملِ المعاني وأعمِّ الحقائق الكليانية في لغة النص (الأصل).

إنّ تركيزَ الميتافيزيقا على لغة الأصل يفترض أفضليتها على لغة النقل، الأمر الذي يسِمُ الترجمةَ بالدونية، ويرسِّخ في ذهنية المتلقي هذه الدونية. ومن هنا نشأتِ المفاهيمُ الخاطئة العديدة عن الترجمة. ومنها أنّ الترجمة ليست عملية إبداعية مهما بُذِل فيها من إتقان وفنون؛ ومنها وصمُها بالزوال مقابلَ بقاء الأصل؛ واعتبارُ المترجمِ أقلَّ منزلةً من المؤلِّف؛ وغيرُ ذلك من الاعتقادات التي تُفقد ثقةَ المتلقي بالترجمة والمترجمين. ذلك أنّ سعي الميتافيزيقا إلى استنساخ الأصل، بل سعيها قبل ذلك إلى بلوغ معنى النص وإدراكه، إنما يعكس نظرتها إلى مفهوم النص والمعنى واللغة والكتابة؛ وهي نظرة تنهض على وحدة الأصل وتطابقه وهويته، ويؤسس فهمَ الميتافيزيقا للترجمة، كما يؤسس الميتافيزيقا كترجمة[2]. غير إنّ هذا السعي، في رأينا، إلى استنساخ الأصل يقيِّد اللغة ويغلق الفكر، وهما متغيران بتغير المكان والزمان، إضافةً إلى أنه يجرِّد المترجمَ من الإبداع، ويجعله مجردَ مُبلغ للمعنى الأصلي. فكل نص تمكن كتابتُهُ بأكثر من لغة، والترجمةُ يمكن اعتبارُها كتابةً ثانيةً للنص، دون أن يعني ذلك أفضليةَ الكتابة الأولى للنصّ على كتابته الثانية.

هايدغر/اللغة

لقد واجهت المفاهيمُ الميتافيزيقيةُ للترجمة انتقاداتٍ واسعةً، واقترن ذلك بالنقد الواسع للحداثة والميتافيزيقا والعقلانيات (المثاليةِ منها والمادية) وبتراجُع التصورات الدينية عن العالم. وتنامى هذا النقدُ على يد فلاسفة ولغويين من أمثال هايدغر وغادامير وديريدا ولادميرال وفوكو ودولوز وسواهم من الذين نظّروا لاتجاهات ما بعد الحداثة.

انطلق هايدغر من تصورات فلسفية لغوية وتأويلية في تناوله للترجمة، فاعتبر اللغة هي المتكلِّمة لا الإنسان، بل إنّ الإنسان يُصغي إلى ما تقوله اللغة، مؤكّداً على أنّ للّغة وجودَها المستقلّ والذاتيّ. وميَّز ما بين نوعين من الترجمة: الترجمة التي تتكشف فيها اللغةُ خارجةً عن التحكم الإنساني، والتي تفصلنا عن المدلولات الأصلية التي تحملها ألفاظُ النص... والترجمة التي تصلنا بالمعاني الأصيلة التي تحملها الألفاظُ في أصولها اللغوية، وتسترجع بها اللغةُ المقدرةَ على التكلم بذاتها، كي تصبح قادرةً على بلوغ حقيقة الوجود[3]، لأنّ اللغة هي مسكن الوجود[4]. وهكذا، فإنّ هايدغر، باعتماده على مبدإ الوجود المستقلّ للّغة، ينظر إلى الترجمة بوصفها عمليةَ تحويلٍ تستنطق المعنى الأصليَّ للنص وتُنصت إلى وجوده اللغويّ، لا مجرد نسخةٍ شبيهةٍ به كما تريدها الميتافيزيقا. إنّ الترجمة، بحسب هايدغر، هي فعل تحويليٌّ، منهجُه التأويل، تتلاقى فيه لغتان وتتحاوران؛ «وهذا ما يؤلِّف العنصرَ الجوهريَّ للترجمة»[5]. وتعتمد الترجمة على القدرة الكاشفة للّغة، وانفتاحِها على الخارج، لأنّ تلاقي اللغتين ودخولَهما في الحوار هو تواصُلٌ ثقافيٌّ يُفضي إلى مثاقفة على مستوى الكتابة والقراءة، وتتداخل فيه ثقافاتٌ مختلفة، ثم تنفتح على آفاق لا تنتهي.

دوسوسور/الثورة اللغوية

وَضَعَ أرسطو اللغةَ في حدود التعبير التمثيليّ أو التصويريّ، حيث تمثِّل الكلماتُ المكتوبةُ والكلامُ المنطوقُ الأشياءَ والمفاهيمَ التي تنشأ عن الإدراك الحسيّ للمحسوسات، دون زيادة أو نقصان. أي أنّ هذه النظرة ترى اللغة أداةً شفافةً نقيةً لنقل معرفتنا بالأشياء والمفاهيم السابقة الوجود، وتَعتبر الترجمةَ خادماً أميناً للمعنى،

---

١ ـ **طبيعة الميتافيزيقا، جماعة من الفلاسفة الإنكليز**، ترجمة كريم متى، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ١٩٨١، ص ١٥٨.

٢ ـ عبد السلام بن عبد العالي: «الترجمة والميتافيزيقا»، **الكرمل**، العدد ١٧، ١٩٨٥، ص ١٧٩.

٣ ـ طه عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.

٤ ـ مارتن هايدغر: **ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلن وماهية الشعر**، ترجمة: فؤاد كامل عبد العزيز ومحمود رجب السيد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٧٢.

٥ ـ عبد السلام بن عبد العالي: «الترجمة والمثاقفة»، **مجلة الوحدة**، العدد ٦١/٦٢، ١٩٨٩، ص ٨.

وشفافةً لا تحجب الأصل. ولم تتغيّر هذه النظرةُ كثيراً إلاّ مع الثورة اللغوية التي أحدثها اللغويُّ السويسريُّ فرديناند دوسوسور في أوائل القرن العشرين، ثم حديثاً مع دراسات رولان بارت وأبحاث نعوم تشومسكي وسواهما.

فقد اعتبر دوسوسور اللغةَ «نظاماً من الإشارات الاعتباطية»[1]، وأن الإشارة اللغوية ليست تعبيراً أو تمثيلاً للشيء الذي تشير إليه بل هي وحدة لغوية مستقلة تتألف في بنيانها الداخليّ من صورةٍ صوتيةٍ تدرَكُ بواسطة الحواسّ (وهي الدالّ) ومفهوم (هو المدلول) يُفهَمُ من خلال الدالّ، ولا وجودَ لأيٍّ منهما إلا في اجتماعهما في الإشارة. ووفق هذا النظام اللغويّ فإنّ الأفكار ليست شيئاً سابقاً للّغة، ولا يوجد أيُّ كيانٍ سابقٍ لظهور اللغة. وقد أثّرتْ آراءُ دوسوسور على نظريات الترجمة من خلال ربط المبادئ اللغوية للغة الأصل ولغة النقل بالأبعاد الإنسانية والحضارية لكلٍ منهما.

الترجمة/التحويل

إنّ فهمنا للترجمة كعمليةِ تحويلٍ للنصّ الأصليّ يتناقض مع فهم الميتافيزيقا. فالميتافيزيقا، كما بيّنّا، ترى في التحويل هدماً وإساءةً للأصل، بل انحرافاً عنه وخيانةً له. ولهذا فضلّتِ الترجمةَ الحرفية التي لا تغدو فيها الترجمةُ أكثرَ من نسخة عن الأصل.

والتحويل في الترجمة معروف في الفهم العربيّ القديم للترجمة. فقد جاء في المناظرة التي جرت بين المنطقيّ متى بن يونس وبين النحويّ أبي سعيد السيرافي ما يلي: «قال ابو سعيد: 'فما تقول في معانٍ متحوّلةٍ بالنقل من لغة اليونان إلى لغة اخرى سريانية، ثم من هذه إلى اخرى عربية؟'؛ قال متى: 'يونانية، وإنْ بادت مع لغتها؛ فإنّ الترجمة حفظت الأغراضَ وادتِ المعاني واخلصتِ الحقائق'»[2]. وحديثاً تناول مفهومَ التحويل العديدُ من الفلاسفة ومنظّري الترجمة كما أسلفنا. ولقد ذكرتُ أنّ الترجمة تعدّ كتابة ثانية للنص، لكنها قبل أن تكون كذلك إنما هي قراءة له، أي تأويل له. ولذلك يقوم التحويل في الترجمة على تأويل القراءة، على أن تُفهم القراءةُ بوصفها «فعاليةً تنتج المكتوب»[3]، انطلاقاً من كونها عملاً لغوياً يستدعيه النصُّ «المكتوبُ» ليحيا فيه ويتجدد ويدخلَ في حياته الجديدة فضاءً أرحب... والتحويل بهذا المعنى

يدحض الاختلاف الترجميّ دعوى الميتافيزيقا الزاعمة بوجود معنى أصليّ يمكن حصره وعلى المترجم حفظه

يتناقض مع أخلاقيات الترجمة الميتافيزيقية التي تطالب بوجوب إيصال شكل النص الأصلي ومعناه بمقتضى وديعةٍ يجب على المترجم تسليمُها لأصحابها دون أيّ مساس بها، صوناً لأمانة التبليغ بمعناها المطلق الميتافيزيقيّ الدينيّ الذي قد يصل إلى حدِّ الوهم المستحيلِ بلوغُه، نظراً إلى اختلاف اللغات والألسن وإلى طبيعة التحويل المتمثلة بتغيير حالِ النص المترجَم من لغة إلى أخرى.

التأويل/الفهم

القراءة فعلٌ لغويٌّ تقتضيه الكتابةُ، كما تقتضيه الترجمةُ بوصفها قراءةَ المترجِم الخاصة للنصّ المكتوب؛ وهي قراءةٌ تهدفُ الترجمة إلى إيصالها إلى المتلقي الذي لا يجيد لغةَ كاتب النص المكتوب؛ ولذلك يقر غادامير «بأنّ التوصيل يكون مكافئاً للترجمة»[4]. وعليه، فلا فهم في الترجمة بغير إفهام، نظراً إلى اختلاف القارئ واختلاف القراءات. لكنْ بتعدد القراءات يتسع التأويلُ ويمتد، ليأخذ أشكالاً مختلفة، باختلاف اللغات...

وتتوجه نظرية التأويل حديثاً، وخاصة كما يحددها غادامير، إلى ما وراء المنتج النصيّ أو الثقافيّ[5]، لكونها أكثر من منهج في الفهم، أي تبحث في الفهم عما يجسّد الفهم، وتُرجع النصَّ إلى اللغة، معتمدةً على التفسير في فهم الظواهر الإنسانية، وجاعلةً اللغةَ النمطَ المميِّزَ للتجربة الإنسانية. غير أنّ التأويل لا يكتفي بتفسير النص، وإنما يسعى إلى فهمه. ولذلك يعتبر غادامير اللغةَ عملَ الفهم[6]، لأنّ أساسها حقيقة حوارية يتقابل فيها عالمان لغويّان مختلفان يتداخلان وينجم عن تداخلهما لغةٌ متجددة وتفاهم. وهكذا يغدو الفهم تفاهماً، بينما كانت اللغة عند هايدغر مسكنَ الوجود (الكينونة)[7]. وبناءً على ذلك يرى غادامير أنّ كل فهمٍ تأويلٌ، وهو سمة الترجمة، وتأويل النص هو إنشاء خاصٌ ذو طبيعة لغوية يتجدد به الأصل. ولذلك فالترجمة تعيد إنشاء النصّ الأصليّ، وتقوم على حوارٍ بين عالمين لغويين يُفضي إلى الفهم والتفاهم.

إنّ مفاهيم غادامير للتأويل (وبالتالي للترجمة)، وهي المفاهيم التي ضمّنها كتابه **الحقيقة والمنهج**، هي تطوير لمفاهيم هايدغر. فاللغة ليست ما يقوله الإنسانُ، بل ما يقال الإنسانُ به. وتأخذ اللغةُ موقعَ الوساطة المطلقة لكل تجربة في

---

١ ـ F. de Saussure: **Cours de Linguistique Générale**, Payot, 1978, p. 106.

٢ ـ أبو حيان التوحيدي: **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت، ص ١٠٨ ـ ١٢٨.

٣ ـ منذر عياشي: **الكتابة الثانية وفاتحة المتعة**، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٨، ص ٨.

٤ ـ هانز جورج غادامير: **تجلي الجميل**، ترجمة سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٤٠.

٥ ـ مطاع صفدي: **استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية**، مركز الانماء القومي، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٢٣.

٦ ـ Hans-Gorg Gadamer: **Vérité et Méthode**, Seuil, Paris, 1976, p. 229 - 248.

٧ ـ Ibid, p. 103 - 109.

العالم ولكل عطاءٍ للوجود(١). وهكذا فإنّ التأويل الغاداميريّ بقدر ما يهدف إلى تجاوز الميتافيزيقا وإحداثِ قطيعةٍ معها، فإنه يستعيدها في أشكال مختلفة. وهذا ما انعكس على مفهوم غادامير للترجمة الذي لا يخرج كثيراً عن مفهوم الميتافيزيقا لها، حيث تبقى الترجمة في إنشائها الجديد للنصّ قاصرةً عن بلوغ مبلغ المؤلِّف في أداءِ قصده... فضلاً عن أنه يربط التأويل الترجميّ بالتأسيس الديني له، حين يُرجع أصلَ الالتحام بين الفكر واللغة إلى فعل التجسيد الإلهيّ الذي فلسفه الفكرُ الميتافيزيقيُّ المسيحيُّ الغربيّ.

ديريدا/الاختلاف

تَعتبر اللسانياتُ الحديثة اللغةَ نسيجاً من الإشارات ذات الدلالات المختلفة والمتشابكة في الوقت نفسه، لكنها لا تنبني إلا بالاختلاف الواحدة منها عن الأخرى. وقد أشار دوسوسور إلى أنّ المعنى في اللغة هو مجرد مسألة اختلاف، لكونه ينتج عن انفصالِ عدد من الأدلة وتمفصلها. ويترتّب على ذلك أنّ المعنى ليس حاضراً في دليلٍ معين، وإنما هو مبعثر على سلسلة من الدالات. ويمضي ديريدا إلى أبعد من ذلك، مستعيناً بألسنيةِ ما بعد البنيوية التي تفصل بين الدالّ والمدلول وتنظر إلى اللغة بوصفها سيرورةً زمانية، معتبراً أنّ المعنى يبقى مرتقباً ومؤجّلاً رغم انتهاء الكلام، ومؤكّداً أنّ «سيرورة اللغة ذاتها لا تنتهي»(٢). وبهذه السيرورة الزمانية للاختلاف يفكّك ديريدا مقولةَ كون اللغة بنيةً محددةً من الدالات والمدلولات كما تحددها الميتافيزيقا؛ فاللغة ليست أداةً متاحةً للاستخدام وفق ما تريده الميتافيزيقا، وإنما هي قادرة على التشكيل والخلق.

يريد ديريدا من سيرورة الاختلاف التصدي لمطابقات الفكر الميتافيزيقي، والتحرُّرَ من كل سلطان المطلق الذي ميّز مجملَ القول الفلسفيّ للغرب. ويرى أنّ الاختلاف تسرّب إلى مفهوم الترجمة من مفهوم الاختلاط، أي أنّ الاختلاف في الترجمة هو جزء من اختلاط الألسن. كما تسرّب الاختلاطُ إلى الأصل، لأنه يستدعي الترجمة، سواء قبلها أم لم يقبلها(٣).

يفنّد الاختلافُ الترجميّ دعوى الميتافيزيقا الزاعمة بوجود معنى أصليّ أو جوهريّ يمكن حصرُه ويجب على المترجم نقله بأمانة. وذلك لأنّ الاختلاف يفيد في عدم تطابق المعنى مع ذاته أبداً، لكونه مبعثراً ومؤجلاً ومنتظراً. ولئن كان هناك معنى جوهري في لغة الأصل، فإنّه لا يمكن نقله بواسطة الترجمة، نظراً إلى استحالة فصله عن مكوناته اللغوية وصوره بلْ وحرفيته أيضاً. لذلك تُظهر الترجمةُ الاختلافيةُ الفروقَ والأعراضَ والآثار في هذا المعنى، بحيث تولد اللغة بواسطة قوة دلالتها الخاصة بها، بعيداً عن نظام الميتافيزيقا وتمركزاتها. وبذلك تتسع الآفاقُ أمام المترجم كي يمارس المزيدَ من التفكير.

وتسعى الترجمةُ الاختلافية إلى تجاوز الفهم الميتافيزيقيّ القاضي بوحدة الأصل وهويته وتطابقهما. وترى ـ بعكس الميتافيزيقا ـ أنّ البقاء صفة ذاتية ملازمة للترجمة لا للأصل، انطلاقاً من أنّ هذا الأخير يحيا ويتجدّد في الترجمة التي تكفّ عن كونها مجردَ نسخةٍ عنه، بل تغدو تحويلاً مستمراً يَهَبُ الأصلَ الحياةَ من خلال تجدّد معانيه وزوال معانٍ أخرى. وتلك المعاني الزائلة ستترك أثراً يتعقبه المترجم، ثم تنبعث معانٍ جديدة، ثم تزول... وهكذا، تتعدد دلالاتُ النص التي لا يحدّها سياقٌ بعينه، وتغدو تأويلاتُه لانهائيةً، متجاوزاً بذلك نفسَه في ترجماته(٤).

هكذا يسعى ديريدا إلى تجاوز فهم الميتافيزيقا للترجمة، وقلب مطابقاتها التي تعطي الأفضلية لنصّ الأصل مقابل نص النقل، وللكلام مقابل الكتابة. وإذ يعتمد ديريدا على استراتيجية الاختلاف القائمة على حركة توليد الفوارق، فإنه يريد إنزال الأفكار الإطلاقية للميتافيزيقا ولكلّ العقلانيات (المثالية أو المادية) من أبراجها العالية، مراهناً على استراتيجية ممارسة تتخطى سلطة الخطاب المطلق، وتخطُّ طريقاً مغايراً للتمركز الميتافيزيقي ومفاهيمه، قوامُهُ الاختلافُ والغيريةُ والحفرُ في الآخر... في اتجاه الآخر.

دمشق

في العدد المقبل

جنين عبّوشي دلاّل :

سياسة الترجمة

في الولايات المتحدة الأميركية

ملف الترجمة II

١ ـ جياني فاتيمو: **نهاية الحداثة**، ترجمة فاطمة الجيوشي، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨، ص ١٤٩.

٢ ـ تيري إيغلتون: **نظرية الأدب**، ترجمة ثائر ديب، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥، ص ٢٢١.

٣ ـ Jacques Derrida, "Des tours de babel", Graham; Difference and Translation, p. 247.

٤ ـ Ibid, p. 222 - 248